



ثمة لعبة خطرة تجري الآن من وراء الستار بين النظام السوري وحزب الله وإسرائيل، قوامها التالي: النظام السوري يحاول بشتى الوسائل تحويل أزمته الداخلية العنيفة إلى أزمات إقليمية، عبر محاول نقل مساعفاتها إلى الدول المجاورة، كما هدد الرئيس بشار الأسد منذ الأيام الأولى للانتفاضة قبل نحو سنتين. يبدأن هذه الجهود باءت بالفشل حتى الآن.

فالأزمة لم تنتقل إلى علوي تركيا على رغم تعاطفهم مع علوي سوريا. والأكراد السوريون الذين أخلوا النظام السوري مناطقهم من تواجده العسكري ومنهم وبالتالي استقلالية وإن مؤقتة، لم يفتحوا لهم أيضاً جبهة ضد أنقرة، بل فضلوا الاسترخاء في في السلطة الكردية العراقية المتحالفة مع هذه أنقرة ضد بغداد. وفي الأردن، توقفت محاولات التغيير التي قام بها النظام السوري قبل سنة، بعد أن تبين له أن الملك عبد الله الثاني أكثر خوفاً منه على عرشه من وصول الإسلاميين إلى عرش معاوية في دمشق، فلم يعد في مصلحته (النظام) زعزعة المملكة الهاشمية.

وفي العراق، وعلى رغم أن الأسد حصل على دعم لوحي ومالى واقتصادي ثمين من حكومة المالكي، إلا أن هذا الأخير بدأ يدفع ثمناً فادحاً لذلك بعد أن انتفض عليه سنة المحافظات السنية المحاذية لسوريا، فبات هم المالكي الأول الآن إنقاذ نظامه لا إنقاذ النظام السوري، ربما عبر سياسة النأي بالنفس نسبياً عن النظام السوري. يبقى لبنان.

هنا، تبدو الصورة أكثر تعقيداً وخطورة.

فقد حاول النظام السوري نقل حربه الأهلية إلى لبنان، عبر مخططات التغيير الواسعة التي كلف الوزير اللبناني السابق ميشال سماحة تنفيذها.

لكن رفض حزب الله وحركة أمل الانجرار إلى هذه المحاولات، قلل إلى حد كبير قدرات النظام السوري التخريبية في بلاد الأرز، الأمر الذي دفعه إلى انتهاج توجّه آخر: جر حزب الله إلى حرب مع إسرائيل، بدل دفعه إلى حرب أهلية داخلية لا يريدها وليس من مصلحته تفجيرها.

لكن كيف؟

عبر شحن أسلحة متطرفة إليه، على غرار قافلة صواريخ سام-17 المضادة للطائرات التي دمرتها المقاتلات الإسرائيلية مؤخرا.

إذ أن الأسد يعرف جيداً أن تل أبيب ستقوم برد فعل عنيف في أربع حالات:

نقل صواريخ سام-17، أو صواريخ أرض بحر، أو صواريخ كروز، أو أسلحة كيمائية، إلى حزب الله في لبنان. وهو كان يأمل أن تتصف إسرائيل القافلة داخل الأراضي اللبنانية، ما قد يخرج حزب الله ويخوجه عن سياسة الهدنة الراهنة مع تل أبيب.

بيد أن الأسد فوجيء بأن إسرائيل ضربت بعرض الحائط كل الخطوط الحمر التي رسمتها إيران وروسيا ضد أي تدخل عسكري خارجي في سوريا، وعمدت إلى ضرب قافلة الصواريخ داخل الأراضي السورية.

كما أنها بعثت برسائل إلى الأسد مفادها أنها مستعدة لمواصلة حمايتها من الضغوط الأمريكية عليه (كما فعلت طيلة السنتين المنصرمتين عبر نفوذها الهائل في الكونغرس)، لكنها غير مستعدة البتة للتسامح معه، إذا ما حاول إشعال الحرب ضدها في لبنان من خلال منح حزب الله صواريخ غير تقليدية.

أما حزب الله، فهو يجد نفسه في إطار هذه السيناريوهات في وضع حرج.

فهو حتماً لا يريد حرباً جديدة مع إسرائيل قد تدمّر كل مابنته إيران في الضاحية الجنوبية والجنوب بكلفة مليارات عدة من الدولارات، لكنه لا يستطيع في المقابل رفض إغراء استلام أسلحة متطرفة قد تزيد بشكل كبير من عامل الردع مع إسرائيل. وفي الوقت نفسه، يشعر الحزب بقلق شديد على ترسانة الصواريخ والأسلحة الثقيلة التي خزنها بعد حرب 2006 في سوريا لحمايتها من الضربات الإسرائيلية، والتي يبدو أن الرقابة الجوية الإسرائيلية على مدار الساعة للحدود والمعابر بين لبنان وسوريا قد تحرمه من الوصول إليها.

هذا الإغراء وذاك القلق لدى زعيم حزب الله حسن نصر الله، مشفوعاً بحاجة بشار الأسد الماسة لحرف الأنظار عن بلاده في الداخل نحو صدام مع إسرائيل في الخارج، ومشفوعاً أيضاً بقرار بنiamin نتنياهو منع تحويل ضعف النظام السوري إلى قوة جديدة لحزب الله، هو الذي يخلق الآن كوكتيلاً متفجراً في بلاد الأرز.

فإسرائيل ستواصل غاراتها على القوافل السورية إلى لبنان. والأسد، الذي لا يجرؤ البتة على مهاجمة "حليفه الضمني" الإسرائيلي منذ أمد بعيد في الجولان، سيبقى يأمل بأن يكرر حربه بالواسطة مع تل أبيب في جنوب لبنان. هذا فيما حزب الله يواصل التأرجح بين إغراء الصواريخ المتطرفة وبين القلق على مصيره ومصير إمداداته. والحقيقة؟

إنها كما قلنا في البداية: لعبة خطيرة.

حتى الآن، لاتزال هذه اللعبة لعبة فقط. لكن سوء الحسابات قد يقلبها في أي لحظة إلى حريق لا يبقي ولا يذر. وربما هذا بالتحديد ما يريد الأسد.

اليوم غدا

المصادر: